نظرية تشومسكي اللسانية وتطبيقاتها على اللغة العربية

محمد مغناجي

المدرسة العليا للأساتذة * قسنطينة * الجزائر

ملخص

يروم المقال الاستقصاء عن مدى تقبل اللغة العربية للنظرية اللسانية الحديثة والمعاصرة، في خانتها التوليدية والتحويلية لصاحبها تشومسكي في جانبها المنطقي والوظيفي، وما الاستثمارات التي نحظى بها من جرّاء استجلاب مصطلحاتها كالقواعد التحويلية، والنظرية التركيبية ومرام التحويل ومحاوره في النحو والبلاغة والدّلالة والتّداول والسياق والكشف عن صور التحويل الأربع: "التقديم والتأخير؛ الرّتبة، الزّيادة على البنى التوليدية، الحذف أو الإضمار أو الإسقاط، الاستبدال"، وسوى ذلك من المصطلحات الأخرى التي تكون الإطار النظري للنظرية، وتكمن أهمية البحث في تبين حقيقة هذه القابلية واعتناقها لآليات النظريات اللسانية الغربية جميعها، وأنها صالحة لمطابقتها دون خدش يمَسّ خصوصياتها.

Abstract

The article tries to investigate the extent to which the Arabic language has taken Chomsky's modern and contemporary linguistic theory, both generative and transformational, on the logical and functional sides. It also investigates the uses made of the importation of its terminology such as Transformational grammar and syntactic theory, the meaning of transformation and its axes in grammar, rhetoric, semantics, usage and context, and shows the four forms of transformation: "submission and delays; rank, increase of generative structures, deletion, projection, and replacement", and other terms that make up the theoretical framework of the theory. The importance of this research lies in identify this ability in Arabic to embrace the mechanisms of Western linguistic theories and that they are applicable to Arabic with very little change to their specificity

أوّلا : الحديث عن نشأة النظرية التحويلية التوليدية في تاريخ اللسانيات الحديثة والمجايلة.

مهاد حول النظرية التحويلية التوليدية:

لم تكن النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها "أفرام نعوم تشومسكي" Avram Noam Chomsky"1928 مصادفة أو انقداحا عبثيا لرؤى التفكير البشري إنما هي-حسب رأينا-تفكير منطقي في أسرار اللغة البشرية التي تنهض على العصب العقلي، والعصب النفسي، والعصب الرياضي والنطقي، وكثير من النّواقل التي تنقل هذه التصورات اللغوية إلى خانة الاستثمار البشري تماما، كما لم تكن الدراسة النحوية في اللغة العربية والتّنظيرات النحوية والبلاغية من صدفة عابرة، وإنما كان الدرس النحوي عند الغرب موجها دلاليا، وكانت الدراسة اللسانية الأولى بنوية وصفية، ولكن بعد النحو الوصفي الذي دعا إليه كثير من المهتمين باللسانيات من الناحية "الجشتالتية"[1] إن صح التعبير أو من الواجهة الخارجية؛ فاهتم بالنحو الشجري والتّوزيعي الذي أومأ إليه ليونارد بلوفيلد"Bloomfield" صاحب كتاب اللغة " Le Language" في العشرينيات بوصفه التحليل الناجع الذي يرتبط بالحالة السلوكية للإنسان البشري؛ والنظريات التي تلته، وقد قال تشومسكي في خواتيم كتابه "البنى النحوية": إنّ"أقصى ما نأمله من النظرية اللغوية هو أن تزودنا بأسلوب لتقييم أنظمة القواعد، وأن هذا المحتوى هو معان بنوية ومعجمية وتداولية وبلاغية وغيرها"[2]، وينكب الحديث عن النظرية اللسانية التوليدية التحويلية لتشومسكي من منطلق النظرية اللغوية التي أرساها في التحليل المنطقي الرّياضي للتّركيب اللغوي؛ إذ قال"إنّ النظرية اللّسانية مجعولة-بادئا-مع المتكلم-السامع المثالي/ النص الأصيل هو" Linguistic Theory is concerned primarily with an ideal speaker-listener,in a completely homogeneous speech-community"[3]، وكل الدراسات اللسانية التاريخية لم تجفُ هذا الجوهرَ الذي من أجله صِيغت اللّغة.

قد مرّ الدرس اللساني بثلاث مراحل مؤرخة في سيرورة اللغة وهي "مرحلة القواعد التي تعزى إلى الإغريق كانت تهدف إلى التمييز بين الأشكال الصحيحة والأشكال غير الصحيحة؛ فإذن هي بحث معياري، والثانية تسمى مرحلة فقه اللغة "الفيلولوجيا" وانطلقت مع العامية بدئت بأبحاث فريديريك أوكست وولف سنة 1777؛ "إذ كانت مدرسة في الإسكندرية تهتم بهذه المدرسة ومازالت الدراسة حتى يومنا هذا"[4] فلم تكن اللغة سوى جزء يسير من اهتماماتها،

فضلا عن أن اهتمام فقه اللغة قد انحصر وضاق باللغتين الإغريقية واللاتينية، أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة فقه اللغة المقارن معادها إلى سنة 1816 وبعد أن اكتشف المستشرق الإنجليزي وليم جونز اللغة السّنسكريتية سنة 1786"[5].

جاءت التحويلية التوليدية عاصفة بالمنهج الوصفي وكما يقول رولان بارت-1980-1915: علينا أن نكتشف عالم اللغة على نحو ما نكتشف الآن عالم الفضاء، وربما أصبح هذان الكشفان أهم سمة يتميز بهما عصرنا"[6]، فإن الدراسة التحويلية للغة هي جهاز منطقي ورياضي وعلمي وفيزيائي يشرح اللغة بمرابض التحليل الدقيق، فالنظرية التحويلية استقلت برؤياها المستقبلية حول أطر اللغة التي لا يمكن أن يخرج عليها قدر الإنسان فاحتملت رياضيا طرائق توليد اللغة في نواحيها الصوتية أولا ثم الصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والتداولية ومن الزاوية التي تتلقى بوصفها حافزا يستحثّ الإنسان على التواصل والتداول والتفاعل في الحياة بإيجابية.

وأهم خصيصة تتّسم بها النظرية – في رأينا – هي الاستقلال Autonomy" الذي يتمتع به منهج "علم اللغة" عن بقية المناهج الأخرى، وهو أول مظهر من مظاهر علمية اللغةScientifics"[7] وما لفت أنظارنا إلى النظرية التحويلية التوليدية هي أنها تساءلت عن طاقات العقل البشري في فهم اللغة وتأويلها وتفسير الإنسان في حد ذاته من خلالها؛ إذ اعتقد مؤسسها الفعلي تشومسكي –بعد أستاذه هاريس"Z-S-Harris"– أن بوسع اللسانيات أن تساهم –مساهمة فعالة– في دراسة العقل البشري، وأنه –حتّى في وقتنا الحاضر– نجدها تقدّم البرهان لصالح موقف معين من المواقف القائمة في الجدل الطويل بين العقلانيين والتجريبيين بأن المعرفة الكبرى، والكلية تتولّد عن التجربة والخبرة"[8]، واللغة تنهض – في اكتسابها الآلي – على هذين الأمرين، وما مرام اللسانيات من الوجهة التحويلية إلاّ الكشف عن أسرار التركيب اللغوي، وبناء العبارات وعلاقة اللغة بالدماغ والنفس والكون؛"إذ يعد الاهتمام بالنماذج التركيبية الأساس والمشتقة –على حد السواء؛ أي بكل صور التّركيب اللغوي البشري– من الأساسات التي ركزت فيها النظرية اللّسانية"[9].

ومن مؤسّسات نظريته اعتماده المنطق الأرسطي في التحليل، والفهم الرّياضي الدّيكارتي (رينيه ديكارت) في حسابات احتمالات اللغة، لكنْ ما نقده من نظرية وصفية جاء بها بلومفيلد

جعله يقلع إلى مناقشة فكرة استقلال اللّغة، والمَلحظ المهمّ في ذلك أنه نقد النظرة الآلية التّي رأى بها ديكارت الإنسان، وطورها السّلوكيون في بحثهم السّلوكي الآلي؛ إذ رفض فكرة "إجراءات الاكتشاف "Discovery procedures" وهي تطبيق فكرة المنبه والاستجابة والفعل اللغوي ورد الفعل اللغوي، ورغم أن النظرية محضن لكثير من المفاهيم العلمية إلاّ أن تشومسكي يفهم اللغة في ظلّ الكليات اللغوية "Universals"، والمهم عنده هو"الوصول إلى البنية التحتية أو العميقة"؛ لأنها هي التي تقفنا على قوانين الطبيعة البشرية"[10].

ثانيا: علاقة اللغة العربية مع مصطلحات التشومسكية ومفاهيمها اللغوية والمنطقية والعقلية:

العالم بنية من العلاقات والأواصر بين ذرَاته وعناصره الكونية؛ فهذا الأمر ينسحب على اللغات فيه، ومادامت اللغة لها المظهر الاجتماعي، وهذا قدر في أصل اللغة البشرية، كما أنه أصل وقدر على الإنسان أن يشتغل باللغة اجتماعيا، فالتلاقح بين البشر خصيصة حاضرة بقوة من النّاحيتين الإثنوغرافية" Ethnographie" والإنثروبولوجية/ الإناسية، حتى لو كان يؤدي هذا التّثاقف إلى الاصطدام في أغلب الأحيان، لكن اللّغة متلاقحة فيما بينها، وإلا كيف نفسّر المعرب مثلا في العربية أو الكلمات التي استعملها القرآن الكريم للغات أخرى وأخضعتها النظرية اللسانية لقواعد المنطق اللغوي العربي ومنها العبرية كجهنم كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِّ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [العنكبوت: 68]، والفارسية كسندس وإستبرق في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: 31] والحورانية كـ"هيت لك"؛ أي أقبل وهلمَّ كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِّ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف: 23] والكثير الكثير ولذلك دارسو اللسانيات العالمية أو الكونية وأنا أضم صوتي إلى صوتهم يقولون في علم اللسان الحديث حينما نقول القرآن نزل بلسان عربي مبين هذا يعني أنه أخضع الغريب من اللغة أو المجتلب من لغات مشابهة للعربية عرقيا أو تاريخيا أو متفرعة عنها أو مماثلة لها في الأعراب كالعبرية مثلا فمن منطقية اللغات والعربية والإنجليزية عينتان حيّتان اللّهجية وإدخال الوافد والأجنبي أي الدخيل إلى القاموس اللغوي، وهذا متمثل في ما ألفه المشتغلون باللسانيات الاجتماعية وعلم اجتماع اللغة كالعالم اللساني الأمريكي رالف

فازلد"Ralph Fasold" حين ألف كتابين متكاملين لهما عنوانان دالاّن" The sociolinguistics of society And Sociolinguistics Of Language"، وقد سعى في مقدمة الكتاب الأول إلى شرح هذا التقسيم:إن أحد القسمين قد اعتمد المجتمع نقطة انطلاق واللغة كمشكل اجتماعي وكمدونة-...-أما القسم الأكبر الآخر فينطلق من اللغة، وتعد القوى الاجتماعية مؤثرة في اللغة وتساهم في الإحاطة بطبيعتها"[11]؛ فاللغة التي يدرسها اللساني هي لغة بشرية"[12]؛ من صوتها إلى نصّها، بل هي صميم الدراسة الموضوعية للسانيات، بوصف اللغة-قبل كلّ شيء-"هي نظام من الرموز الصوتية التي تمنح شرحا للفكر والأحاسيس في طبيعة تواصلية" / النص الأصلي لإدوارد سابير والمترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية هو Le langage est avant tout un système de symboles phonétiques servant aexprimer des pensées ou des sentiments d'une nature communicable[13] لا يتحرف هذا النظام في البشر؛ لأنه يتواصل به، ولو باختلاف طفيف بين الخلق أجمعين؛ بل تساءل صاحب الغريزة اللغوية عن كثير من اكتشافات العصر الحديثة وختم بأنه ساءل قارئ الكتب المتخصصة عن تفسير ما يختفي وراء أم اللغات جميعها واللسان الذي خرجت من الألسن البشرية المتفرعة والمختلفة كاختلاف أعراق البشر، واستبحثه"عن اللغة الأم للغات جميعها"[14]، أمّا علم اللسان فهو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري؛ أي دراسة الظاهرة العامة والمشتركة بين بني البشر، فمن هنا فالنظر إلى النظرية اللسانية التشومسكية وعلاقتها باللغة العربية لسانيا نظر موضوعي؛ أي أن هذه المصطلحات قد تتطابق معها، فإن كانت متناسبة فإن هذه النظرية ناجعة إلى حد أكبر وأجلى في الكشف عن مساحة أكثرَ من اللغات البشرية وهذا الأمر المقصد من الدراسة الموضوعية والعلمية[15] للغة العربية، وكيف صار اللساني في اللغة العربية مع غزارة المصطلحات الحديثة مشوقا لمطابقة هذه المصطلحات، حتّى إنهم وضعوا معاييرَ للنظرية التحويلية على اللغة العربية فيما يمّس ترتيب مكونات الجمل الفعلية والاسمية، وبنية الجملة العربية من منظورين توليدي و تحويلي، وحاولوا عرض مصطلحي البنية العميقة والسطحية على مستويات البنية اللغوية العربية، فقال بعض الدارسين: "من المعروف أن الأدبيات التوليدية-على الأقل في النماذج الأولى-كانت تميّز بين البنية العميقة " Structure profonde" والبنية الأساس "Structure de base" والرتبة السطحية"Structure de surface" وهي كلها تختلف عمّا يسمّى الرتبة الطاغية" Order

Dominant"[16]؛ إذ عدّها تشومسكي ضمن خصائص الملكة اللغوية: محاولا تفسير النقائض، إلى جانب"تأويل الصوت في الصورة الصوتية، وتأويل المعنى في الصورة المنطقية وقوله بأنهما مستويان وجيهان"[17]، ففي اللغة العربية صوت لبنية لغوية حسية مسموعة ومعنى لبنية منطقية مع الصعوبة التّي تعرض إلينا في تحديد الفروق بين واقعها في العربية، وفي لغات النظرية التحويلية الإنجليزية والإسبانية والعبرية والصينية وغيرها من لغات العالم.

لو عدنا إلى تاريخ اللغة لوجدنا أن هذا البحث الإنساني قديم، وهو – في نظرنا –قسيم الإنسان بل وليد التواصل، والشعوب كلها شاركت في تأسيسه "لكن دراسة اللغة على حسب الكثيرين تعود – في أصولها –إلى الهند واليونان الكلاسيكيين"[18]؛ لكنها ليست قسرا على الأمتين فقط بل تنبه العرب الأول إلى الاهتمام باللغة وقبلهم الرومان وغيرهم من الحضارات، ثم وصلت إلى الحضارات المعاصرة الغربية والعربية الراهنة.

تبدأ بالعالم تشومسكي: "ففي بداية عمله العلمي طور تصوراته حول مهام اللغة ومناهج البحث اللغوي، طارحا ثلاثة أسئلة منها بزغت نظريته:

1- ما الذي يدخل في علم اللغة؟؛ أو ما المجالات الصالحة له؟

2- هل يمكن أن تدرس البنية الشكلية للغة ذاتها؟

3- هل ندرس اللغة دون تمسّك بالمعنى، وهنا يحاول تشومسكي اقتراح فرضية غير مُلاحية لليونارد لبلوفيلد"[19]؛ فهو أقصى المعنى من الدراسة اللسانية للكلام أو الجملة أو اللغة، ومنهم من يقول بلومفيلد لم ينف المعنى من الدراسة، وحتّى هاريس ذهب المذهب عينه، وهنا نستنتج أن تشومسكي في أوائل دراسته.

من أجلى المفاهيم في نظرية النحو الكلي أو المجمل لتشومسكي "مصطلح التحويل؛ إذ حظيَ بشق كامل في نظريته وهو "التحويلية" وهي نسبة إلى مصطلح التحويل الذي هو في نظرنا باد بدوّا واضحا، وينهض هذا المصطلح على القواعد التحويلية التي قال بها تشومسكي، وهي القاضية بتغيير البنى بين المشتقة والنواة والمراوحة بينها، وبهذا التحويل في رأينا يتم الكشف على التفوق اللغوي الذي ينتاط بواحد منا دون الآخر في القول وأشار رابح بومعزة الذي كشف عن وشائج كثيرة لمصطلح التحويل مع المنطق التحويلي الذي استوفد من عند النظرية التحويلية

فألف كتابا موسوما: "التحويل في النحو العربي؛ مفهومه- أنواعه -صوره، البنية العميقة للصيغ المحولة"[20]، بل ونشر معانيَ كثيرة في أبواب أخرى من كتبه حوله؛ فقد أفرد له بابا خاصا به في كتابه الآخر "نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية"[21]، فعرفه وبيّن الصورة لمفهوم التحويل في النحو العربي دون أي تعصّب، وكذلك فعل في كتابيه"الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني[22]، وكتاب الجملة الوظيفية في القرآن الكريم صورها -بنيتها العميقة- توجيهها الدلالي[23]، وألّف الدّارسون دراسات مماثلة، وراسلوا تشومسكي لمناقشة القضايا العلمية المتعلقة بالنظرية، ومنهم معصومة عبد الصاحب التي ألفت كتابا هو في بنيته العميقة أطروحة دكتوراه حول "الجمل الفرعية في اللغة العربية"[24] والحاج عبد الرحمن الحاج صالح في أغلب أعماله ومؤلفاته، بخاصة في النظرية الخليلية التي تقوم على جمع كل ما يتعلق باللغة العربية وتأريخه وتوثيقه وتصنيفه، وعبده الرّاجحي بخاصة في كتابه "النحو العربي والدرس الحديث"[25] وسنام دراستنا تصبّ في ما قرنته من مقاربة بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، وغيرهما كثيرون، وفي اعتقادنا السبب الذي حفّز الدارسين العرب –على اختلاف أطيافهم- دراسة المقارنات في النظرية اللسانية التوليدية التحويلية هو أن تشومسكي ذهب مذهبا كليا في بحثه اللساني المنطقي للغة، واستنطاق قانون "القواعد الكلية التي هي ركن أساس بنيت عليه نظريته، وهي التي يسمّيها تشومسكي وسيلة اكتساب اللغة " Linguistic Acquisition Device"[26] ومن ذلك وضع حسام البهنساوي هذه النظرية حيّز التطبيق في كتابه "نظرية النحو الكلي؛ إذ قال باحتياج اللغة العربية مسيس الحاجة إلى تطبيق النظرية التوليدية التحويلية التي عنت بمعرفة اللغة وتفسيرها وأسفرت على نتائج هامة تؤكد قدرتها على تحليل اللغات والأنحاء الخاصة، وأراد أن يذهب إلى التطابقات اللغوية والعلمية بينها وبين النظرية اللسانية الحديثة آنفة الذكر"[27].

كما أنَ عبد القاهر الفاسي الفهري -في كتبه كلها- وفي "المجلات اللسانية[28] التي كان يشرف عليها وفي كتابه "المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي"[29] قد "أورد فيها مفاهيمه اللسانية بالموازاة مع اللغة العربية، وقد قرأ الفاسي الفهري أفكار التحويليين وأبرزهم تشومسكي؛ إذ عرض أي الفهري –من منظور توليدي تحويلي- نظرية نمو اللغة عند الطفل والعربي بالخصوص والكفاءات الذهنية الفطرية، في مقال "عربية النمو والمعجم الذهني، ومصطلحات كثيرة مثل الازدواج اللغوي"Bilingualism" وأوجُهُهِ، كما أشار إلى النحو

الكلي"G-Universal"[30] أو العالمي وارتباطاته باللغة العربية من الوجهة اللسانية، وبعض الوظيفيين منهم أحمد المتوكل في مؤلفاته، منها "اللسانيات الوظيفية"[31]، وكتاب "الوظيفة والبنية؛ مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية"[32]، وفي هذا الكتاب نزع منزعا وظيفيا بحتا.

وأمّا عبد الرحمن الحاج صالح فقد استجمع ما حققته اللسانيات منذ البدايات التأسيسية، ومنها كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان"[33]؛ إذ عرض على مصطلحات لسانية رئيت في اللغة العربية من منظور تحويلي وأشار إلى بعض مصطلحات النظرية التحويلية، منها ما عده ضمن تمارين تصريف البنى وتحويل المعاني في الاكتساب اللغوية؛ كالزيادة أو الحذف ويقال: "إنه المقصود منه تثبيت العناصر المكتسبة" لفظا ومعنى" مع تثبيت العناصر الجيدة، وبصفة خاصة البنية الجديدة أي البنية التي أخذت مظهر التحويل، ووقع فيها عمليته تبعا للكلام والتواصل والتداول، وكذلك ما أسماه "بالتصريف والتحويل البنوي وهو جوهر التمارين الجارية على البنية؛ لأنه تدريب على تغيير صيغة القبيل الواحد من العناصر في داخل الوحدة اللغوية بدون زيادة "ولا حذف"، على هذه الوحدة "أو بزيادة أو حذف أي بمزج التحويل بالنوع الرابع"، فهو تغيير لصيغة هذا القبيل لا لمادته "لا تستبدل كلمة بأخرى في نفس الموضع، بل تفرع الفروع البنوية من الأصل الواحد"[34].

إنّ الإشارة إلى البنية الأصل -ومنها تفرعات الجملة واللغة والبنية الفرع- واردة هنا وهي نواة فكرة هاريس؛ حيث إن أول فكرة للتحويل في التراكيب اللغوية من المنطوق اللّساني معادها إلى الأصل الذي تُستَولد منها البنى؛ وتعود كلُّها إلى أصل واحد، مثلا في العربية الجملة الفعلية المتكونة من فعل وفاعل ومفعول به هي أصلية للتركيب الفعلي "مفعول به وفعل وفاعل"، أو "مفعول به وفاعل وفعل" وهكذا، وهذا ما أشارت إليه معصومة عبد الواحد في بحثها "الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية"[35].

واللغة العربية لو وضعنا خابورا لاستقرائها لوجدنا أن كل العمليات النحوية التي تتفاعل داخل بنيتها إنما تقوم على التوجيه العقلي، وهذا يقودنا إلى التنبه لمقولة"جون ستيوارت" John Stuart" فيما بعد عن الفكرة الأساس ذاتها؛ وهي: "إن مبادئ النحو وقواعده هي الوسائل التي

بوساطتها تتهيأ أشكال اللغة لأن تتطابق مع أشكال الفكر العالمية، بل إن العقل البشري بحاجة إلى تشريح قبل تشريح دور اللغة فيه ودوره في اللغة وعلاقتهما بالحقيقة المترسبة في مخ الإنسان العصبي والعقلي الذي به يفهم اللغة، ويحل شفراتها سواء كان عقلا عربيا أو فرنسيا أو إنجليزيا، أمّا "النحو العام" فقد عرّفه "نحوي مفكر بارز من نحاة القرن الثامن عشر بأنه علم استدلالي يهتم بالمبادئ العامة التي لا تتغير للغة المنطوقة أو المكتوبة ونتائجها، فهو سابق في وجوده اللغات جميعها؛ وذلك لأنّ مبادئه هي المبادئ التي توجه العقل الإنساني في عملياته"بوزيه" Beauzèe"، وهكذا فعلم اللغة لا يختلف إطلاقا عن علم الفكر[36] أو أي علم له علاقة بالفكر.

يجمل بنا أن نمنح بعض الصفات المشابهة للغات من منطلق النظرية التحويلية، وهي بين اللغة العربية والانجليزية فصوتيات الفرنسية ليست هي صوتيات الإيطالية رغم أن من منطق البشر الاختلاف الوارد بينها في طريقة النطق، وطريقة الجمع في الفارسية ليست هي طريقة الجمع في العربية فألف والنون في العربية هي علامة المثنى، وقد تكون في الفارسية للجمع؛ إذ "يسمى الاسم جمعا إذا دلّ على اثنين فأكثر، مثل "مردان" اسبان، كتابها، درختها، فعلامة الجمع -في الفارسية- "أن"و"ها" وهي تلحق بآخر الاسم الذي يراد جمعه" [37]

وقد يتساءل أحد لم أوردت المشابهة بين اللغة العربية والفارسية أولا؟ ذلك لأن الفارسية طريقة خطها بالعربية، فالأحرف عربية ولكن مضمون التركيب يختلف وحتى الصوتي فما بالك باللغات اللّاتينية والإنجليزية، فعلامة الجمع في الإنجليزية هي"إضافة "s" عادة إلى الاسم المفرد ومثاله -bus Ex:buses/box-boxes أما الأسماء التي تنتهي بـ: o,x,ch,sh,s فعادة تضاف إليها -Ex:bus buses/bax-boxes/arch-arches/flash-flashes"[38].

ما نودّ تحليله هو البناء المنطقي المشترك للغة البشرية، وكما أن اللغة والكلام ثنائية سوسيرية موجودة في اللغة الفرنسية، فهي في العربية والإنجليزية، وكما أن الكفاءة والأداء موجودتان في الإنجليزية والعربية، وهذا منطق العقل البشري، ولعلّنا نتقصّد "تعريب النظرية التحويلية، فحتّى يتسنّى لنا ذلك، وتصبح النظرية معربة الأصول والمبادئ فنقول: إن بإمكاننا التعبير عنها عربيا بصورة مفهومة تجمع قضاياها ومداخلها ومسائلها المتنوعة، ينبغي أن يصبح نحو العربية

بمفهومه الواسع الذي يعني قواعد اللغة مجالا لاختبار مصداقية هذه النظرية وطرق تحليلها والتعليل لصورتها العامة، ودورها في تصور الملكة اللغوية والأنحاء الخاصة المتعلقة بالملكات اللغوية لمتكلمي اللغات القوميين"[39]، وليس هذا الكلام إلا أن تكون اللغة بنحوها وأبنيتها ومدوناتها مهيأة لقواعد النحو الكلي.

ما نخلص إليه ممّا سبق هو أن النظرية اللسانية التحويلية التوليدية قادرة على تحليل مفاهيم اللغة؛ وتفسير ها تفسيرا ذهنيا.

واللغة العربية نموذج من مادة اللغة الكونية البشرية التي تمثل شكلا نطقيا ونحويا ودلاليا وجماليا من كل أشكال اللغة؛ فيتم إنفاذ كل مصطلحات الدراسة اللسانية إليها دون أن تتعارض والسّياقَ العامَّ لها.

ليست اللغة العربية قابلة للنظرية اللسانية بعموم والتحويلية لتشومسكي بالخصوص فحسب، وإنما مادة خام لعرض أي مقترحات أية نظرية لسانية عامة، وأي منهج أو قاعدة من قواعد النظرية التحويلية.

الإحالات:

(1)- الجشتالتية: هي تيار أو نظرية في علم النفس وهي نظرية تقول بأن الإنسان في فطرته الفيزيائية والنفسية حينا تقع عيناه على الأشياء تقع على كليتها أولا ولا تقع على جزء منها فقط.

(2)- ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية، "Syntactic Structures" ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مطبعة النجاح الجديدة، والناشر عيون بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ط 2 ص 137 و140.

(3)- ينظر: Noam Chomski –Aspects Of Theory Of Syntax-The Met Press Massachusetts Institute .Of Technology Cambridge, Massachusetts,p3.

(4)- ينظر: فرديناندوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، دط، ص 11.

(5)- ينظر: رفعت كاظم السوداني، المنهج، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن،2009، ط 1، ص 23.

(6)- ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، دط، صفحة المقدمة.

(7)- ينظر: جون ليونز، المرجع ذاته، ص 32.

(8)- ينظر: جون ليونز، تشومسكي، ترجمة محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، المملكة العربية السّعودية، 1987، ص 81.

(9)- ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات دار الأديب، وهـــران، الجزائر، 2006، دط، ص 97.

(10)- ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1979، ص 112 و113.

(11)- لويس جان كالفي"Louis-Jean Calvet"، علم الاجتماع اللغوي"La sociolinguistique"، ترجمة محمد يحيـاتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، دط، ص 106.

(12)- أندري مارتني Andre Martinet"، مبادئ في اللسانيات العامة "Element De linguistique General"، ترجـمة سعدي زبير، دار الآفاق، دت،دط، ص 12.

(13)- ترجمتي للنص الأصلي من كتاب إدوارد سابير" اللسانيات" أو علم اللغة، ينظر Edward Sapir, Linguistique, Traduit de langlais par Jean-ElieBoltanski et Nicole Soule-Susbielles; Presentation de Jean-Elieboltanski; Collection Folio/Essais;Les Edition de Minuit;1968;p29.

(14)- ستيفن بنكر"Steven pinker": الغريزة اللغوية" The Language Instinct"؛ كيف يبدع العقل اللغة، تعريب: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة العربية، 2000، صفحة مقدمة المؤلف.

(15)- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000–2006،طبعة ثانية منقحة، ص9.

(16)- مصطفى غلفان، بمشاركة محمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث i Modern Book /World إربد، الأردن، 2010، الطبعة الأولى، ص 277.

(17)- ينظر: نعوم تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تقديم وترجمة محمد الرحال، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص 27 و28.

(18)- نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسين، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2009، الطبعة الأولى، ص 33.

(19)- ينظر: بريجيتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعومتشومسكي، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2004، الطبعة الأولى؛ طبعة منقحة ومزيدة، ص 270.

(20)- ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي؛ مفهومه –أنواعه– صوره؛ البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن ودار"عالم الكتب الحديث" إربد، الأردن، 2007، الطبعة الأولى.

(21)- ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربـي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، عالـم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011.

(22)- ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، صورها وتوجيهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2008، دط.

(23)- ينظر: رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، صورها –بنيتها العميقة– توجيهها الدلالي، عالم الكتب الحديث، إربد، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2009، الطبعة الأولى.

(24)- ينظر: معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية، بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصرن 2008، دط.

(25)- ينظر:عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1979.

(26)- ينظر: عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، مجلة التجديد، إصدار الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني والعشرون، 2007، ص 138.

(27)- ينظر: حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي، والتركيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية"، مكتبة الثقافة الدينية، ص 65.

(28)- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: المشرف العام المدير المسؤول، ومحمد غاليم، أحمد عقال، خالد الأشهب، عائشة الناصري، عبد الفتاح حمداني؛ مجلة أبحاث لسانية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط التابع لجامعة الملك محمد الخامس، المجلد 1، العدد 1، مارس 1996.

(29)- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1998.

(30)- ينظر: مقالنا: "جهود عبد القادر الفاسي الفهري في مقاربة المصطلحات اللسانية التحويلية، وتطوير المفاهيم اللسانية في المغرب والدول العربي"، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي من 3-4–5ديسمبر 2012، الجزء 2، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات، بجامعة مولود معمري بتيزي وزو–الجزائر، ص 159 وغيرها من الصفحات.

(31)- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية؛ مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010، ط2.

(32)- ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، الرباط، المغرب، 1990.

(33)- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د.ط، 2007.

(34)- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 240.

(35)- ينظر: معصومة عبد الواحد، المرجع السابق.

(36)- ينظر: نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية؛ طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق وتقديم: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1993، ص 51.

(37)- عبد النعيم محمد حسين، قواعد اللغة الفارسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1970، ص 26.

(38)- فوزي زكي، نظمي، فاروق، الدجوي، يوسف عبد الواحد، Modern English Grammarwith Objective Tests لجميع دارسي ودارسات اللغة الإنجليزية، مطابع الدجوى–القاهرة، دط، دت،ص 18.

(39)- نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق وتقديم محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1993، ص 25.